(٣) تجليات الظهور

د. القرضاوى

- المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل وامريكة تربية للأمة على التحرر من العبودية.
- إرباح الأعداء خيانة لمن يقدمون الشهداء كل يوم، وكل مسلم مجند لتحرير الأقصى.
- لا عصبية ولا تقليد، واليسر لا العسر، والخطاب بلغة العصر، والإعراض عما لا ينفع، والاعتدال: منهجى فى الإفتاء.
- الإجتهاد له منطقتان: ما لا نص فيه، النصوص الظنية.
- يجب النظر إلى النصوص الجزئية فى ضوء المقاصد الكلية.
- المجدد الحقيقى هو من يجدد الدين بالدين، وبعض المجددين تلاميذ للاستعمار الغربى.
- الإسلام لا يكون إلا سياسياً، و(الإسلام السياسى) يقوم على تجزئة الإسلام.
- تزوير الانتخابات، وتملق الحكام، والاحتكار، والاعتقال بغير جريمة، والتعذيب، والرشوة ... منكر.
- من تنازل عن الأرض أو قَبِلَ التعويض من اللاجئين الفلسطينيين خائن لله ولرسوله.
- أقف مع الديمقراطية رغم أن الإسلام نسيج وحده.
- السياحة إلى دولة العدو الصهيونى- لغير الفلسطينى- حرام شرعاً.
- لا خطوط حمراء لدىَّ فى الفتوى، ولا يتدخل أحد فى قطر فى فتاواى.

(٣) تجليات الظهور

منذ انتشار ظاهرة الغلو فى التكفير، وبروز جماعات تحمل هذا الفكر فى أوائل السبعينيات، برز نجم العلامة د. يوسف القرضاوى مُنَظِّراً للفقه الوسطى الرافض لهذا النوع من التفكير، حيث شارك بالبحث والخطبة فى التصدى للظاهرة، وتوجيه مسار الحماس الدينى إلى الاعتدال بعيداً عن التطرف.

لكن ذلك لم يكن البروز الأولى للرجل فى عالم الفتوى المعاصرة، فقد فاز كتابه (الحلال والحرام) منذ ما يزيد على أربعين عاماً باحتضان الأزهر الشريف، حيث اعتبر القرضاوى نفسه - مع استقلاليته فى العالم والفكر - الشيخ محمود شلتوت أحد الشيوخ الذى تأثر بهم، وأعتزّ بالقرب منهم إبَّان تخرجه فى الأزهر الشريف فى كلية أصول الدين ١٩٥٣م، وفوزه بالمركز الأول.

كما لم يكن ذلك الكتاب - الذى تُرجم إلى كل لغات العالم التى يتحدث بها مسلمون تقريباً - هو أول طريق الشيخ فى دنيا الفقه وعالم الفتوى، فقد شيَّخه الناس منذ الصغر:

منذ الصبا

ألقيتُ أول درس علمى فى حياتى فى جامع المتولى فى قريتنا (صفط تراب)، فقد تخلف الشيخ عبد المطلب البتة – أستاذه الأول – عن درس العصر، فحمله الناس إلى الدرس فى جامع كبير، وجلست على كرسى الشيخ .. وانتهى الدرس – رغم الأسئلة التى وجهت إلىَّ من محترفى الأسئلة – على خير، وظللت فى كل إجازة صيفية ألقى الدروس، خاصة فى رمضان .. من جامع المتولى إلى القرضاوى على الإنترنت؛ كانت رحلة طويلة فى عالم الفتوى ودنيا الفقه الإسلامى والفتاوى الساخنة، خاصة فى الشأن السياسى .. وذلك كله موضوع هذه الحلقة مع القرضاوى:

فى آخر فتوى له كانت انتفاضة الأقصى هى المحركة للمطلب الشعبى بشأن التعبير عن التضامن مع الفلسطينيين ضد الاعتداء الصهيونى على الشعب والأرض؛ قال:

ما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة أن الجهاد لتحرير أرض الإسلام ممن يغزوها ويحتلها من أعداء الإسلام واجب محتم، وفريضة مقدسة، على أهل البلاد المغزوة أولاً، ثم على المسلمين من حولهم إذا عجزوا عن مقاومتهم، حتى يشمل المسلمين كافة، فكيف إذا كانت هذه الأرض المغزوة هى القبلة الأولى للمسلمين وأرض الإسراء والمعراج، وبلد المسجد

الأقصى الذى بارك الله حوله؟ وكيف إذا كان غزاتها هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا؟ وكيف إذا كانت تساندها أقوى دول الأرض اليوم الولايات المتحدة الأمريكية، كما يساندها اليهود فى أنحاء العالم؟

• كأنكم ترون الجهاد هنا فريضة على المسلمين؟ هل تحددون موجبات الرأى هنا؟

نعم الجهاد اليوم فريضة الفرائض لهؤلاء الذين اغتصبوا أرضنا المقدسة، وشرّدوا أهلها من ديارهم، وسفكوا الدماء، وانتهكوا الحرمات، ودمروا البيوت، وأحرقوا المزارع، وعاثوا فى الأرض فساداً إنه أول الواجبات على الأمة المسلمة فى المشرق والمغرب.

مفهوم الجهاد اليوم

• لكن الجهاد أصلاً هو بذل الجهد، فإذا استطاع المسلم بذل أقصى الجهد من أجل القيام بالفريضة فهو محقق لها .. هل يمكن إعانة الفلسطينيين وتحقيق الجهاد دون حمل السلاح الذى لا تناسبه الظروف السياسية الآن فى الدول الإسلامية؟

أجاب: الفلسطينيون فى القدس وفى فلسطين يبذلون الدماء بسخاء، ويقدمون الأرواح بأنفس طيبة، ولا ينالون بما أصابهم فى سبيل الله، فعلينا – نحن المسلمين فى كل مكان – أن نعاونهم بكل ما نستطيع من قوة؛ قال تعالى: ﴿ **وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ** ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢]، ومن وسائل هذه المعاونة مقاطعة البضائع الاسرائيلية والأمريكية مقاطعة تامة، فإن كل ريال أو درهم أو قرش أو فلس نشترى به سلعهم، يتحول إلى رصاص تطلق فى صدور إخواننا وأبنائنا فى فلسطين.

• لكن إلى أى درجة تصل حرمة شراء البضائع الأمريكية إذ سويتها بالبضائع الإسرائيلية؟

البضائع الأمريكية مثل البضائع الإسرائيلية فى حرمة شرائها والترويج لها، فأمريكة اليوم هى إسرائيل الثانية، ولولا التأييد المطلق والانحياز الكامل للكيان الصهيونى الغاصب ما استمرت تمارس عدوانها على أهل المنطقة، ولكنها تصول وتعربد ما شاءت بالمال الأمريكى والسلاح الأمريكى والفيتو الأمريكى! فكل من اشترى البضائع الإسرائيلية والأمريكية من المسلمين فقد ارتكب حراماً، واقترف إثماً مبيناً، وباء بالوزر عند الله، والخزى عند الناس.

لا لمصطلح الإسلام السياسى

لكن رفض الفقيه المعاصر القرضاوى لمصطلح شائع هو الإسلام السياسى سوف يكشف لنا عن الفهم الشامل للإسلام لديه ؛ قال لى :

أنا أرفض هذا التعبير، إذ معنى قبوله هو أننا بصدد إسلامات متعددة، حسب العصور: إسلام نبوى وراشدى وأموى وعباسى ،،، وحسب الأجناس: إسلام عربى وهندى وتركى .. وحسب المذهب: إسلام سنى وشيعى و.. وحسب هذا التعبير: إسلام سياسى وإسلام روحى وإسلام لاهوتى.

والإسلام لا يكون إلا سياسياً، وإذا جردت الإسلام من السياسة فقد جعلته ديناً آخر .. فالإسلام منهاج شامل للحياة بما وضع من مبادىء وما أصَّل من قواعد، وما سنَّ من تشريعات وما بيَّن من توجيهات، تتصل بحياة الفرد وشئون الأسرة، وأوضاع المجتمع وأسس الدولة وعلاقات العالم .. كما أن شخصية المسلم لا يمكن إلا أن تكون سياسية .. فالإسلام يضع فى عنق كل مسلم فريضة هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ... كما يحرض الرسول ﷺ على مقاومة الفساد، ويعتبره أفضل من مقاومة الغزو من الخارج : " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ". ففساد الداخل هو الذى يمهد السبيل لعدوان الخارج.

تزوير الانتخابات منكر

• ألا ترى إمكانية حصر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبة فى محيط الأعمال التعبدية والأخلاقيات العامة؟ فإذا تعدى إلى السياسة صار للأمر منحى آخر ؟!

كيف ذلك ؟! الاستهانة بكرامة الشعب منكر، وتزوير الانتخابات منكر أى منكر! والقعود عن الإدلاء بالشهادة فى الانتخابات منكر، وتوسيد الأمر إلى غير أهله منكر، وسرقة المال العام منكر، وأحتكار السلع التى يحتاج إليها الناس لصالح فئة أو فرد منكر واعتقال الناس بغير جريمة حكم بها القضاء العادل منكر، وتعذيب الناس داخل السجون والمعتقلات منكر، ودفع الرشوة وقبولها والتوسيط فيها منكر، وتملق الحكام بالباطل وإحراق البخور بين أيديهم منكر، وموالاة أعداء الله وأعداء الأمة من دون المؤمنين منكر .. واجب تغييره.

لا دين فى السياسة: كذب

• **ما تعليقك على مقولة: " لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين " إذن ؟!**

أول من يكذب تلك المقولة هم مطلقوها أنفسهم، إذ لجأ هؤلاء إلى الدين ليتخذوا منه أداة فى خدمة سياستهم والتنكل بخصومهم، واستخدموا بعض الضعفاء والمهازيل المنسوبين إلى علم الدين، ليستصدروا منهم فتاوى ضد من يعارض سياستهم الباطلة ديناً والعاطلة دنيا .. وأذكر كيف طلب من أهل الفتوى أن يفتوا بمشروعية الصلح مع إسرائيل، تأييداً لسياستهم، بعد أن أصدرتُ الفتوى بتحريم الصلح، واعتبار ذلك خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين ..

• **وقفت موقفاً معارضاً للسلام مع إسرائيل، لكن مفتى السعودية الأسبق الشيخ عبد العزيز بن باز قد رأى جواز الصلح والسلام مع إسرائيل، ولقد فصلتُ هذه القضية فى كتابى (أوراق فى الفقه السياسى)، وأسأل الآن: كيف تنظرون للأمر بعد سنوات مرت عليه ؟!**

فتوى العلامة ابن باز – رحمه الله – يخالف فيها الكثير من علماء المسلمين وأنا منهم، وموضوع الخطأ فى فتواه ليست فى الحكم الشرعى والاستدلال له، فالحكم صحيح، لكن الخطأ فى تنزيل الحكم على الواقع، فهو تنزيل غير صحيح، وهو ما يسميه الأصوليون (تحقيق المناط)، فالمناط الذى بنى عليه الحكم لم يتحقق .. قال ابن باز فى مسألة الصلح مستنداً للآية الكريمة – قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الأنفال: ٦١]، ولا مشاحة فى ذلك، لكن اليهود لم يجنحوا يوماً للسلم، اغتصبوا الأرض وسفكوا الدماء وشردوا الأهل وما زالوا يفعلون ! كما أن الواقع يقول: إن الذى حدث بين اليهود والفلسطينيين من اتفاقات ليس مجرد هدنة، بل هو اعتراف لليهود بأن الأرض التى اغتصبوها وشردوا أهلها أصبحت ملكاً لهم، والسيادة الشرعية على حيفا ويافا وعكا واللد والرملة وبير السبع والقدس ... جعل من هذه المدن مدناً إسرائيلية .. مع أن فلسطين ملك للأمة أرض إسلامية كلها.

رفض التنازل عن القدس

● **رفض الرئيس ياسر عرفات التنازل عن القدس فى المفاوضات الأخيرة، هل يمكن لأحد أن يملك هذا الحق: التنازل، حتى لو كان الرئيس الفلسطينى نفسه، إذا زادت الضغوط السياسية عليه؟!**

لا يجوز للرئيس الفلسطينى ولا غيره أن يتنازل عن أى جزء من أرض الإسلام، فأرض الإسلام ليست ملكاً لرئيس أو لأمير .. حتى يتنازل عنها تحت أى ضغط ! والواجب على الأفراد والجماعات: الجهاد والمقاومة لتحرير أى أرض احتلها الأعداء، والأمة كلها مسئولة بالتضامن عن ذلك، وإذا عجز جيل من أجيال الأمة أو تقاعس فلا يجوز له أن يفرض عجزه أو تقاعسه على كل أجيال الأمة القادمة إلى يوم القيامة، فيتنازل عما لا يجوز له التنازل عنه .. ولقد أصدرت فتوى بتحريم بيع الأرض للأعداء.

تعويض اللاجئين

● **لكن إذا حرمتم بيع الأرض للأعداء؛ هل تتساهلون فى إمكانية قبول لاجئى الشتات من الفلسطينيين للتعويض عن أرضهم فى فلسطين كما هو مطروح الآن ؟**

أفتيت بتحريم قبول التعويض عن أرض فلسطين للاجئين المشردين فى أنحاء العالم ولو بلغ المليارات، فأوطان الإسلام لا تقبل البيع ولا التنازل ولا التعويض عنها، ومن فعل ذلك فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين .. وإذا كان ذلك الحكم لأى أرض إسلامية؛ فكيف بالقدس الشريف أولى القبلتين وبلد الأقصى وثالث المدن المعظمة بعد مكة والمدينة ؟! وإن السيادة على القدس يجب أن تكون إسلامية عربية فلسطينية، ولا يمنع هذا المسيحى واليهودى من إقامة شعائر دينه بكل سماحة إسلامية.

حنين إلى الأقصى

● **كيف ترون حلة أو حرمة السفر إلى إسرائيل للسياحة، خاصة زيارة المسجد الأقصى ؟**

أفتيت بالمقاطعة واعتبرتها فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، وقد اعتبرت سلاح المقاطعة هو السلاح المتاح للمسلمين اليوم، والقدر الممكن من الجهاد، فتعاملنا مع الأعداء شراء وبيعاً وسفراً يشد من أزرهم، ويقوى دعائم اقتصادهم، ويمنحهم القدرة

على استمرار العدوان علينا .. وقد رأينا أن عدوانهم لا يرحم أحداً من الصغار والكبار والمدنيين، كما حدث مؤخراً ومازال فى القدس والمدن الفلسطينية، وتقويتهم والسياحة لديهم تعاون معهم، وهو تعاون محرم يقيناً قال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢]، كما أن التعامل معهم يكسر الحاجز النفسى، بيننا وبينهم، مما يردم الفجوة التى حفرها الاغتصاب والعدوان التى من شأنها أن تبقى جذوة الجهاد مشتعلة فى نفوس الأمة؛ قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ [الممتحنة: ١] ... ولقد أشدت مرات عدة برفض الشعب المصرى لأشكال التطبيع مع العدو الصهيونى، الذى يبدأ اقتصادياً ويسعى إلى أن يكون اجتماعياً وثقافياً، واختلاط الأعداء بنا يحمل أضراراً خطيرة وتهديداً لمجتمعاتنا بنشر الفساد والرذيلة والإباحية .. لهذا كله وسداً للذرائع إلى هذا الفساد المتوقع أرى أن السفر أو السياحة إلى دول العدو الصهيونى لغير أبناء فلسطين حرام شرعاً، حتى ولو كان بقصد ما يسمونه بالسياحة الدينية، أو زيارة المسجد الأقصى الأسير تحت نير دولة يهود وفى حراسة بنى صهيون .. إننا جميعاً نحنُّ إلى المسجد الأقصى، ونشتاق إلى الصلاة فيه بعد تحريره وما حوله إن شاء الله، وعودته إلى أهله الطبيعيين، وهم أمة العرب والإسلام.

أقف ضد الديكتاتورية

• فى أغلب طروحات د. القرضاوى لا يغيب عنه الطرح السياسى: كيف ترون الديمقراطية؟ وهل يمكن أن يقبل بها الإسلاميون حقيقة؛ إنهم يتحفظون عليها بل قد يتخوفون منها ؟!

أنا أقف ضد الحكم الفردى الديكتاتورى، وضد الاستبداد السياسى والطغيان على حقوق الشعوب ... وأقف دائماً فى صف الحرية السياسية المتمثلة فى الديمقراطية الصحيحة غير الزائفة ... وإن الصحوة الإسلامية لا تنفتح أزهارها، ولا تنبت بذورها إلا فى جو من الحرية، ومناخ الديمقراطية.

الإسلام ليس هو الديمقراطية، ولا الديمقراطية هى الإسلام، وما أحب أن ينسب الإسلام إلى أى مبدأ أو نظام آخر، فهو نسيج وحده فى غاياته وفى مناهجه ووسائله، وما أحب أن ننقل الديمقراطية الغربية بعجزها دون أن نضفى عليها من قيمنا وفكرنا ما يجعلها جزءاً من نظامنا، ولكن الأدوات والضمانات التى وصلت إليها الديمقراطية هى أقرب ما تكون إلى تحقيق المبادئ والأصول السياسية التى جاء بها الإسلام لكبح جماح الحكام؛ وهى

الشورى والنصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ورفض الطاعة عند الأمر بمعصية، ومقاومة الكفر البواح، وتغيير المنكر بالقوة عند الاستطاعة، هنا تبرز قوة السلطة النيابية القادرة على سحب الثقة من أية حكومة تخالف الدستور، كما أن قوة الصحافة الحرية وقوى المعارضة يمكن أن يقاوما مخالفة الحكومة للدستور.

تخوف الإسلاميين

• لكن تخوف الإسلاميين من الديمقراطية يأتى من أنها تجعل الشعب مصدراً للسلطات حتى السلطات التشريعية، ويقولون: إن التشريع لله وحده ؟

هذا التخوف الذى تتحدث عنه يمكن إزالته بمادة واحدة؛ تنص على أن أى تشريع يخالف الأصول القطعية للإسلام يعتبر باطلاً، فالإسلام هو دين الدولة ومصدر المشروعية العليا لكل مؤسساتها.

• هل يعنى ذلك سلب السلطة التشريعية حق التقنين والاجتهاد أو تضييق مجاله؟

التشريع أو الحاكمية لله تعالى لا يسلب الأمة حقها وسلطانها فى الاجتهاد لنفسها، فى التقنين لحياتها وشئونها الدنيوية المتطورة مطلقاً، لكن المقصود هو كون التشريع أو التقنين فى إطار النصوص المعصومة والمقاصد الكلية للشريعة وللرسالة الإسلامية.

• لكن الأمر على هذا النحو يجعل النصوص مقيدة لحرية الاجتهاد ؟

أبداً .. فالنصوص الملزمة قليلة جداً، ومنطقة (العفو) أو الفراغ التشريعى جد واسعة والنصوص نفسها من السعة والمرونة بحيث تتسع لأكثر من فهم، وأكثر من تفسير، ومن ثم تتعدد المشارب والمذاهب والآراء داخل إطار الإسلام الرحب.

منهجى فى الفتوى

• نتوقف الآن عند منهجكم فى الفتوى، خاصة فى القضايا المعاصرة حول قضايا الاجتهاد الكبرى .. كيف تحددون مسار الفتوى ؟

لدى عدد من القواعد فى هذا الشأن، منها أنه لا عصبية ولا تقليد، حيث أننى أتحرر أصلاً من العصبية المذهبية والتقليد الأعمى، مع توقيرى الكامل لأئمتنا وفقهائنا، فعدم تقليدهم ليس حطّاً من شأنهم، بل سيراً على نهجهم، وحسْب العالم المستقل ألا يلتزم رأياً فى قضية دون دليل قوى، وأن يكون قادراً على الترجيح بين الأقوال المختلفة والآراء المتعارضة؛ بالموازنة بين أدلتها، والنظر فى مستنداتها من النقل والعقل.

• **هل يمثل ذلك منطقة عسرة لدى بعض أهل العلم الشرعى ؟**

أبداً .. الأمر ليس بالعسير على من ملك وسائله من دراسة العربية وعلومها وفهم المقاصد الكلية للشريعة، والإطلاع على كتب التفسير والحديث والمقارنة، كما يجب أن يكون هذا العالم المستقل أهلاً للاجتهاد الجزئى، أى الاجتهاد فى مسألة معينة وإن لم يكن فيها حكم للمتقدمين.

• **ما هو موقفكم من اختيار اليسر على العسر فى أمر الفتوى ؟**

أنا أُغَلِّب روح التيسير والتخفيف على التشديد والتعسير وذلك لأمرين :

الأول : لأن الشريعة مبنية على التيسير ورفع الحرج عن العباد.

والثانى : طبيعة العصر الذى طغت فيه المادية على الروحية والأنانية على الغيرية والنفعية على الأخلاق.

والفرد المسلم يعيش فى محنة قاسية ... لهذا ينبغى على اهل الفتوى أن ييسروا عليه ما استطاعوا، وأن يعرضوا عليه جانب الرخصة إلى جانب العزيمة ترغيباً فى الدين.

• **ماذا تعنى بالتيسير، وما رأيك فى الأخذ بالأحوط دون الأيسر حفظاً للدين ؟**

التيسير هو عدم الصدام مع نص ثابت محكم ولا قاعدة شريعة قاطعة، بل يسير فى ضوء النصوص والقواعد والروح العامة للإسلام، وإذا كان هناك رأيان متكافئان : أحوط وأيسر، فإنى أوثر الإفتاء بالأيسر، اقتداءً بالنبى ﷺ الذى ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً .. أما الأحوط فيمكن أن يأخذ به المفتى فى خاصة نفسه، أو يفتى به أهل العزائم.

الجماهير ولغة العصر

• **يلاحظ فى لغة خطابك الجماهير مخاطبة العقول بلغة العصر .. ماهى آفاق ذلك الخطاب ؟**

التزمت بالفعل مخاطبة الناس بلغة العصر التى يفهمونها، متجنباً وعورة المصطلحات الصعبة، وخشونة الألفاظ الغريبة، متوخياً السهولة والدقة، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ [إبراهيم: ٤]، فلكل عصر لسان أو لغة، ولا أعنى باللغة مجرد ألفاظ يعبر بها قوم عن أغراضهم، بل ما هو أعمق من ذلك مما يتصل بخصائص

التفكير وطرائق الفهم والإفهام، ومن هنا فإن لغة عصرنا تعتمد على مخاطبة العقول بالمنطق، لا على إثارة العواطف بالمبالغات، وذكر الحكم مقروناً بحكمته وعلته، مربوطاً بالفلسفة العامة للإسلام، وقد التزمت ذلك فى فتاواى، لأنه طريقة القرآن والسنة، ولأنه أغلب الناس لا يقبلون الحكم دون معرفة مغزاه وهدفه فى عصر كثر فيه الشكاكون والمشككون ! كما أنى أعرض عما لا ينفع الناس ولا يحتاجون إليه من أسئلة أصحاب المراء والجدل والتعالم والتفاصح وامتحان المفتى وتعجيزه، وإثارة الأحقاد والفتن بين الناس .. وذلك كله أبتعد عنه ولا ألقى له بالاً، فهو يضر ولا ينفع، ويهدم ولا يبنى، ويفرق ولا يجمع.

• كيف تنظر إلى الاعتدال أو الوسطية التى اعتبرتك الأوساط العلمية رائداً لها فى مجال الاجتهاد المعاصر ؟

إننى ألتزم روح التوسط دائماً، والاعتدال بين التفريط والإفراط، بين الذين يريدون التحلل من عُرى الأحكام الثابتة بدعوى مسايرة التطور من المتعبدين بكل جديد، وبين الذين يريدون أن يظل كل ما كان على ما كان من الفتاوى والأقاويل والاعتبارات، تقديساً منهم لكل قديم.

• ما بين التعصب للقديم والانطلاق إلى التحديث تبرز قيمة الاجتهاد، ولعلكم تقفون اليوم على رأس عملية الاجتهاد، ما هو الاجتهاد فى نظركم اليوم ؟

الاجتهاد: هو إعادة النظر فى تراثنا الفقهى العظيم، بمختلف مدارسه ومذاهبه وأقواله المعتبرة فى شتى العصور، لاختيار أرجح الأقوال فيه، وأليقها بتحقيق مقاصد الشريعة، وإقامة مصالح الأمة فى عصرنا، فى ضوء ما جدّ من ظروف وأوضاع، والعودة إلى المنابع: النصوص الثابتة، والتفقه فيها على ضوء المقاصد العامة للشريعة، والاجتهاد فى المسائل والأوضاع الجديدة التى لم يعرفها فقهاؤنا الماضون، ولم يصدروا فى مثلها حكماً، وذلك لاستنباط حكم مناسب لها فى ضوء الأدلة الشرعية.

تجديد الدين

• كيف ترون تجديد الدين إذاً ؟ ومن هو المجدد الحقيقى للدين ؟

التجديد للدين له مفتاح هو الوعى والفهم، فلا يعنى تجديد الدين إظهار طبعة جديدة منه، بل يعنى العودة به إلى حيث كان فى عهد الرسول وصحابته والتابعين، وهى

عودة إلى التيسير لا التعسير، وإلى التبشير لا التنفير، ومن يقرأ فقه الصحابة والتابعين يجد أنهم أفقه الناس لروح الإسلام ومقاصده.

والمجدد الحقيقى هو من يجدد الدين بالدين، ويكون قادراً على عرض الإسلام بلغة العصر، مخاطباً كل قوم بلسانهم، واعياً لخصائص العصر وخصائص الإسلام والأقوام.

وكان تجديد عمر بن عبد العزيز – مجدد المئة الأولى – فى ميدان العمل والحكم لا ميدان الفكر والعلم كتجديد الشافعى فى رأس المئة الثانية، لكن بعض المجددين فى العصر الحديث هم تلاميذ للاستعمار الغربى !

● لكن كيفية عمل المجدد تحتاج إلى وقفة: أى مناطق العلم الشرعى يمكنه النظر والاجتهاد ؟ هل يجوز الاجتهاد مع وجود نص فى المسألة ؟

الأولى: منطقة ما لا نص فيه، مما تركه الشارع رحمةً لا نسياناً، ليملأ المجتهدون الفراغ بما يحقق مقصد الشارع، وفق مسالك الاجتهاد التى يتبعها المجتهدون؛ من القياس أم المصلحة المرسلة أو الاستحسان أو استصحاب الحال.

والثانية: هى منطقة النصوص الظنية؛ سواء أكانت ظنية الثبوت، ومعظم الأحاديث النبوية كذلك، أو ظنية الدلالة، ومعظم نصوص القرآن والسنة كذلك .. ووجود النص لا يمنع الاجتهاد، فتسعة أعشار النصوص قابلة للاجتهاد وتعدد وجهات النظر.

الخطوط الحمراء وفقهاء السلطة

● ما هى الخطوط الحمراء لديك فى الفتوى، خاصةً الفتوى السياسية ؟

- لا يتحكم فى فتواى أحد، ولم يتدخل أحد من قبل فى أى فتوى أصدرتها، وعلى القائم بهذا العمل أن يحذر خطران: الأول: اتباع أهواء السلاطين، والثانى: اتباع أهواء العامة، وارى الثانى أخطر من الأول، فقد يرضى عالمٌ الناس ويزايد فى هذا الجانب، ويتشدّد فيما لا ينبغى التشدد فيه، إنما العالم الحق هو الذى يحاول ويجتهد أن يتحرر من كل سلطان غير سلطان الشرع، ومن كل سلطان غير سلطان الحجة والدليل، ولا يخضع لا لهوى السلاطين، ولا لهوى الجماهير، إنما يخضع لأمر الشريعة.

لكن السؤال الذى يطرح نفسه هو: هل يمكن اعتبار القرضاوى من فقهاء السلطة، اللافت للنظر أن منهج القرضاوى لم يتغير منذ أن كتب (الحلال والحرام) منذ أكثر من أربعين

عاماً، وحتى اليوم، فقد جاء إلى الخليج فى هجرة اختيارية إبان حكم عبد الناصر، وهو يرى الحجاب لا النقاب، وأهل الخليج يميلون إلى النقاب، لكنه لم يغير رأيه، وأفتى بإباحة الغناء والاختلاط والموسيقا، والتشدد هو السائد فى هذه المسائل، لكنه لم يغير رأيه، وأفتى بحرمة الصلح مع إسرائيل مغضباً كثيراً من الحكام العرب، ووجوب مقاطعتها فى الوقت الذى تقيم فيه دولة قطر علاقاتها التجارية مع إسرائيل ولم يغير رأيه، بل طالب مؤخراً بوجوب إغلاق مكتب التمثيل الصهيونى فى الدوحة، ووصفه بوكر الجواسيس، وذلك فى معرض مطالبته للأمة بمقاطعة إسرائيل وأمريكة، رداً على عدوانها الأخير، وتأييداً لانتفاضة الأقصى، بادئاً بمطالبة دولة قطر نفسها .. ولعل موقفه المشهور لا يخفى بعد أن صافح أمير دولة قطر بيريز رئيس إسرائيل الأسبق، حيث خطب خطبة جمعة ينقلها التليفزيون القطرى على الهواء مطالباً من صافح بيريز بأن يغسل يديه سبع مرات، إحداهن بالتراب، كما هو واجب على من يمس لعاب الكلب ويصيبه النجس ... كما أكد على ذلك حين صافح أمير قطر نفسه باراك فقال: إن موقفه ثابت من المطالبة بالمقاطعة لإسرائيل وأمريكة، حتى وإن صافح من صافح وقابل من قابل!

هل يمكن اعتبار ابن (صفط التراب) فى رحلة الفتوى مجدداً حقيقياً للدين عبر الفضائيات والإنترنت ؟